برنامج [الأمان الأمان.. يا صاحب الزمان] - الحلقة (4)
ولادة القائم من آل محمد صلوات الله عليهم – الجزء (1)

الاثنين : 5 شهر رمضان 1439 - الموافق: 2018/5/21

✤ في الحلقات المُتقدّمة أجبتُ على سُؤالٍ مضمونهُ: ما هُو أفضلُ عملٍ يُقرّبنا إلى إمام زماننا "صلواتُ الله وسلامهُ عليه"..؟
في هذه الحلقةِ سأبدأُ موضوعاً وعنواناً جديداً.. قد يكون جواباً لِسؤالٍ، أو قد يكونُ ردّاً على إشكالٍ أو إنكار.. أو قد يكونُ استجابةٍ لِطلباتٍ كثيرةٍ ومُلحّةٍ من الإخوة والإخوات.
الحديثُ عن ولادة إمام زَماننا الحجّة بن الحسن "صلواتُ الله عليه".
هذا الموضوع كراراً ومراراً طُلِب منّي أن أتحدّث عنه وفيه.. وفي الحقيقة ما كُنتُ راغباً أن أتحدَّثَ في هذا الموضوع، وليس ذلك عَجْزاً منّي ولا لخوفٍ مِن شيءٍ على المُستوى العِلمي، وإنّما لأنّني أرى القضيّةَ مِن أوضح الواضحات.
فما معنى أن أتحدّث وأن أُثبتَ ولادة إمامٍ في عقيدتي هو حقيقةٌ أجلى وأوضحُ مِن الشمس؟!
فكثرةُ السُؤال وكثرةُ الطلباتِ مع الإلحاحِ دفعني كُلّ ذلك إلى أن أفتحَ هذا الموضوع في هذا البرنامج.. وسأجعلُ حديثي تحتَ هذا العنوان: ولادةُ القائم مِن آل مُحمّد "صلواتُ الله وسلامهُ عليهم أجمعين".. وعلى ما أظن فإنّ الحديث سيطول، فلن أكتفي بحلقةٍ أو حلقتين.. وإذا اقتضى الأمرُ ربّما أستمرُّ إلى نهاية شهر رمضان، لأنّني أُريد أن أفتحَ الموضوع في جميع الاتّجاهات، وأريد أن أتحدّث عنهُ بشكلٍ كامل.

✤ هناك مجموعةٌ مِن الملاحظات قبل أن أدخلَ في صُلب الموضوع:

◈ الملاحظة (1): إنّني لا أُريد أن أُثبتَ ولادة إمام زماننا "صلواتُ الله عليه" لأحدٍ من الناس، وإنّما هي حقيقةٌ أُزيلُ عن أطرافها غُباراً شيطانيّاً يُلقى على جوانبها بين الفَينة والأخرى.. ولا أُبالي إنْ كان هناك مَن لا يرى هذا الأمر حقيقةً.. فتِلكَ مُشكلته هو.

◈ الملاحظة (2): إذا كان هناك مَن يُتابع هذا البرنامج وليس شيعيّاً مهدويّاً إثني عشريّاً، فإنّي لا أُريدُ أن أُثبتَ له الجُزئيات والتفاصيل التي سأتحدّثُ عنها.. ولكنّني أقول له - وأنا واثقٌ مِمّا أقول -:
ولادةُ إمامِ زماننا جزءٌ مِن لوحةٍ كبيرة.. فأنا أطلبُ مِمّن يُتابعني - وهو ليس شيعيّاً مهدويّاً إثني عشريّاً - أن ينتظرَ تمام اللّوحة وبعد ذلك يحكم.. لأنّني - كما قُلت - أنّ هذا الموضوع: (ولادة إمام زماننا) هو جزءٌ من لوحةٍ كبيرة.. فما لم تكتمل هذهِ اللّوحةُ بشكلٍ واضحٍ وجليّ فإنّ الحقيقةَ لن تكون ظاهرةً لِمَن حالهُ هكذا أنّه ليس شيعيّاً مهدويّاً إثني عشريّاً.
فراسمُ لوحةٍ حينما يبدأ برسمها لا يستطيعُ أحدٌ أن يحكم على اللّوحة مِن خلال جُزئيّةٍ بدأ الرسّام بنقشها على لوح رسمه.. فلابُدّ أن يُنتظَرَ هذا الأمر - ما يقوم به الرسّام - إلى أن تكتمل اللّوحة وحينئذٍ يُعطى الحكم.

◈ الملاحظة (3): الدينُ له وجهان: وجهٌ نظريٌ، وَوجهٌ عَمَلي.
أمّا الوجهُ النظري: فالدينُ نُصوص ومُصطلحات ومفاهيم وقواعد وأحكام.. إلى سائر التفاصيل الأخرى.
فالدينُ في بُعده النظري نصوص.. أمّا في بُعدهِ العَمَلي - وهو هذا الذي نتحدّث عنه - فهو واقعٌ يتشكّل مِن مجموعة أمور.
• حِين أتحدّث عن الدين النظري إنّني أتحدّثُ عن دينٍ يُسطَّر في الكُتب.
• وحين أتحدّثُ عن دينٍ عملي فإنّني أتحدّثُ عن مُعايشةٍ ومُمارسةٍ ومُمازجةٍ للدين بكلّ تفاصيلهِ في حياتنا.

● الدينُ العمليُّ واقعٌ حقيقيّ في حياتنا.. يتشكّل مِن جُملة أمور:
• هُناك مِساحةٌ في حياتنا يُمكن أن نُسمّيها ساحةُ الثقافة العامّة (ساحة ثقافة الأُمّة) مِن هذهِ الساحة وفي هذهِ الساحة نحنُ نأخذ ونتعلّم شيئاً كثيراً (وهي ثقافةُ الأمّة التي ترتبط بالدين سواء كانتْ سليمة أو ليستْ سليمة) بالنتيجة هي تُشكّل مُعطىً كبيراً مِن مُعطيات الدين العملي.
• يُضاف إلى ذلك مجموعةُ معلوماتٍ معيّنة يمتلكها الفرد.. فهناك ساحةٌ تتجمّع فيها ثقافةُ الأُمّة منها نأخذ.. (يُمكن أن تتجسّد في المساجد، في الحُسينيّات.. وغير ذلك).
• وهُناك معلوماتٌ معيّنة كُلُّ فردٍ منّا يمتلكُ حظّاً جانباً مِن المعلومات، والتي تختلفُ مِن شخصٍ إلى شخص بحسب اطّلاعهِ، وبحسب تخصّصهِ، وبحسب تجربتهِ في الحياة.
• ويُضاف إليها التجربةُ الدينيّة.. ومُرادي مِن التجربة الدينيّة: المُعاناة والمُعايشة.. معايشةٌ للواقع ومُعاناة، والمُراد من المعاناة: المُلامسة والمُقاربة والمُعايشة النفسيّة، مع الطقوس الدينيّة، مع التطبيقات الدينيّة، مع العلاقة الشخصيّة الوجدانيّة الخاصّة التي لا يطّلعُ عليها فيما بين المُتديّن وبين الجهة التي يتوجّه إليها..
هذا بِمجموعهِ يُشكّل واقع الدين العَمَلي. في ضِمن هذه الرُؤية تثبتُ العقائد أو لا تثبت.
إذا أردنا أن نتعامل مع هذا الدين النظري (وهو النصوص) بعيداً عن واقع الدين العملي فإنّ أموراً قد تثبُتْ وأنّ أموراً قد لا تثبُت.. وحينما نعود إلى الدين العَمَلي فإنّ الأمورَ التي تثبُتُ هناك ربّما لا تثبتُ هنا، وإنّ الأمور التي لا تثبُتُ هُناك قد تثبتُ هنا.

لأننا في الدين العملي لا نتعاملُ مع نصوصٍ مُجرّدة فقط.. لأنّ النُصوص المُجرّدة تكونُ مَحكومةً بقَواعد مُعيّنة.. لكن حين ننتقلُ إلى الدين العملي فَإنّنا أمام مجموعةٍ من المعطيات (ربّما تكونُ صحيحةً وربّما لا تكونُ صحيحةً) هذا هو الواقع.

● هناك قضيّةٌ يجهلها أو يتغافل عنها الكثير من الباحثين، وهي:

أنّه لابُدّ أن نُفرّق بين الدليل، وبين حُجّية الدليل، وبينَ الانفعال النفسي بدليليّة الدليل وبِحجّيته.

فلربّما نملكُ دليلاً لهُ مِن الدليليّة ما يَجعلهُ دليلاً.. ومُرادي مِن دليليّة الدليل: أي مضمونه.. وقد تكونُ لهُ مِن الحُجّية ما يجعلُ هذا الدليل دليلاً عِلميّاً مَقبولاً.. ولكنّنا حين نأتي به مِن عالم النصوص ونَضَعهُ في جوّ الدين العملي بِحُكم الثقافة العامّة وبحكم التجربة الوجدانيّة والمُعاناة النفسيّة ومُعايشة الواقع فإنّ النفوسَ لا تنفعلُ إنفعالاً شديداً أو قويّاً لمضمون هذا الدليل.. وحينئذٍ لن تكونَ لهذا الدليل مِن قيمةٍ حقيقيّةٍ على أرض الواقع الديني.

هذهِ القضيّةُ يغفلُ عنها الكثيرون؛ لأنّنا لا نتحدّثُ في مسألةٍ رياضيّة.. إنّنا نتحدّثُ في مسألةٍ دينيّة، والمسألةُ الدينيّةُ ليستْ عِلميّةً مَحضة.. المسألة الدينية لها وجه علمي ولها وجه إيماني.. الوجهُ الإيماني يرتبطُ بالغَيب. (هذه القضيّةُ لابُدّ أن تُؤخَذ بنظر الاعتبار، وإلّا فلا قيمة لكثيرٍ من الكلام).

ومِن هُنا فَإنّنا نَجدُ الكثير مِن المَطالبِ مَذكورةً في الكُتب لا قِيمةَ لها على أرضِ الواقع العَملي للدين؛ لأنّها لم تترك تأثيراً نفسيّاً.. ليس هُناك مِن انفعالٍ نفسيّ بها.

• فلابُدّ أن نعرفَ مِن أنَّ الدليل لهُ دليليّة، ودليليّةُ الدليل مَضمونه،

• ولهُ حُجّية.. قيمتهُ في القَبول والرفض.

• ولهُ مقدار التأثير: وهُو انفعال القُلوب وانفعالُ الوجدان بفاعليّة هذا الدليل.

هذهِ القضيّة قضيّة مُهمّة جدّاً لابُدّ أن نأخذها بنظر الاعتبار.

◈ الملاحظة (4): إنكارُ المُنكرين لِولادة إمام زماننا.. وقَطْعاً لا شأنَ لي بِمَن هُم خارج الواقع الشيعي.. لأنّني قُلتُ قبل قليل: أنّني لا أُريد أن أُثبتَ الجزئيّات والتفاصيل الصغيرة لِمَن ليس شيعيّاً مَهدويّاً إثنيّ عشريّاً.. وإنّما أطلبُ منه أن ينتظر حتّى تكتمل اللّوحة وبعد ذلك يحكم.

يحكم إمّا أن يقبل ما أقبلهُ أو على الأقل يقتنع أنّنا لا نتحدّث مِن فراغ، وإنّما هُناك مُعطيات وحقائق بالنسبة لنا ثابتة لا يُمكن أن تُنكَر، وعلى أساسها تتشكّل عقائدنا. ولذا قد يكونُ الكلامُ مُوجّهاً للذين يُنكرون هذهِ الحقيقة في الواقع الشيعي أو يُشكّكون فيها.. وإنْ كُنتُ قُلتُ قبل قليل مِن أنّني لا أُريد أن أُثبِتَ هذا المَوضوع لأحد.. إنّما هي حقيقةٌ أُريدُ أن أُزيلَ غُباراً يُلقى على جَوانبها.

وفي طَوايا الحديث سأضعُ بين أيديكم الكثير والكثير مِن المَعلومات التي ما كُنتم على عِلْمٍ بها.. وسأكشفُ لكم الكثير من الحقائق التي هي في غاية البُعد عن تصوّركم.. لأنّني فتحتُ الموضوع، وسأفتحهُ في جميع الاتّجاهات، وستُلاحظون ذلك مِن خلال هذه الحلقة وبقيّة الحلقات.

● مِثلما قُلتُ قبل الفاصل.. مِن أنّ ولادة إمام زماننا الحجّة بن الحسن "صلواتُ الله وسلامهُ عليه" بالنسبةِ لي ولِمَن يُوافقني هي مِن أوضح الواضحات.. وهذا المعنى سيتجلّى حينما أُكمل حديثي في هذه الحلقات. ستعرفون مَقصودي مِن أنّ ولادة إمام زماننا من أوضح الواضحات.. ولكن لإبليس برنامج، وهذا البرنامج سأتحدّث عنه في خاتمةِ هذهِ الحلقات المُختصّة بهذا الموضوع.

الذين يُنكرون هذهِ الحقيقة هذهِ مُشكلتهم.. فإنكارُ ولادةِ الإمام الحجّة لا هو مُشكلةٌ بالنسبة لإمام زماننا، ولا هو مُشكلةٌ بالنسبة للذينَ يعتقدون بهِ وبإمامته.. تِلك مُشكلة الذين يُنكرون.

• المُشكلةُ بتعبيرٍ مُوجزٍ ومُختصر: المُشكلةُ ليستْ في المَرئي وليستْ عند الذين يَمتلكون جهاز رُؤيةٍ سليم ويرون هذا المَرئي (هذه الحقيقة).. وإنّما المُشكلةُ في الذين يُنكرون هذا المرئي لإشكالٍ في جهاز الرُؤية الذي يمتلكونه..!

هناك إشكالٌ في وسيلةِ الرُؤية عند أُولئكَ الذين يُنكرون هذهِ الحقيقة.. ولذا فإنّي سأتّبع أُسلوباً قد يكون جديداً نوعاً ما في تناول هذا الموضوع.

سأفتحُ لكم عدّة شاشات.. والذي أرجوهُ أن تُتابعوا مَعي وأن تُدققوا النظر في كُلّ شاشةٍ أفتحُها لكم وتُدقّقوا النظر في هذهِ الصُور العلميّة والفِكريّة التي سأعرضُها لكم في هذهِ الشاشات.

فكُلّ شاشةٍ مِن هذهِ الشاشات ستكونُ مُركّبةً مِن عدّة صُور.. ورجائي أن تُتابعوا مَعي مِن هذهِ الحلقة إلى آخر حَلَقةٍ ترتبطُ بهذا الموضوع إذا كنتم راغبين في أن تطّلعوا على حقائق وأن تكتشفوا كثيراً مِن المعلوماتِ المُغيّبةِ عنكم.

فكما قُلت: أنّني سأفتحُ لكم شاشات، وكُلُّ شاشةٍ ستكونُ مُتخصّصةً في جانبٍ مِن الجوانب.

وفي كُلّ شاشةٍ هُناك مجموعةٌ مِن الصُور، مِن اللّقطات.. ورجائي أن تُدقّقوا النظر في هذه الصُور وأن تجمعوا فيما بينها، فبمَجمُوعها تتشكّل الصورةُ الأخيرة في كُلّ شاشةٍ مِن هذه الشاشات.. وبعد ذلك ستتشكّلُ عندنا صُورةٌ مُفصّلةٌ جدّاً جدّاً بعد أن يكتمل الحديثُ في كُلّ هذه الشاشات.

❂ أوّل شاشةٍ أبدأ بها شاشة القرآن:

سأعرض لكم في هذه الشاشة مجموعةً من الصور العلميّة الفِكريّة.. وإذا كان هُناك مَن لا يمتلكُ جهازَ رُؤيةٍ سليماً.. فما الذي أصنعه أنا؟! أو إذا لم يكن قادراً على التقاط الصورة بشكلٍ صحيح بحيث تظهرُ أمامَهُ في الشاشةِ جليّةً بيّنة، فليستْ تلك مُشكلتي.. ولكنّني سأحاول جاهداً أن أُقرّب الفِكْرة وأن أُوضّح الصُورة بِقدْر ما أتمكّن.

❖ الصورة (1): وقفة عند الآية 37 من "سورة ق": {إنّ في ذلك لَذكرى لِمَن كان لهُ قلبٌ أو ألقى السمْعَ وهو شهيد}

القرآن الذي يتمثّل بالمُصحف الذي بين يدي هو وسيلةٌ مِن وسائل البيان بنحو التذكير، ولذلك من جُملة أسماء القُرآن: الذكر.. فالقُرآن ذِكْرٌ، والقرآن تذكيرٌ، والقرآن ذِكرى، والقُرآن مِن أوّله إلى آخره تتحقّقُ معانيه إذا ما أرادتْ أن تَتحقّق في نفس إنسانٍ إنّما تتحقّقُ بهذا الأسلوب وبهذهِ الطريقة.

• الآية تقول: {إنّ في ذلك لَذكرى لِمَن كان لهُ قلبٌ} دعونا مِن هذه المرتبة، فهذهِ المَرتبة مَرتبةٌ عالية جدّاً.. فلسنا نحنُ مِمّن كان لهُ قلب.

بقيّة الآية تقول: {أو ألقى السمْعَ وهو شهيد} والمُراد مِن أنّه ألقى السَمْع وهو شهيد يعني وهو حاضرٌ مُطيع تابعٌ، قد أسلم قلبَهُ لهذا الناطق الذي ينطق، وهذا الناطق إمّا أن يكون ناطقاً عن الرحمن - وهو الذي تتحدّث عنه الآية - أو أن يكون ناطقاً ينطقُ عن الشيطان كما جاء في أحاديثهم الشريفة: (مَن استمعَ إلى ناطقٍ فقد عَبَده) والآية هُنا لا تتحدّث عن الناطق عن الشيطان.

• قول الآية {أو ألقى السمْعَ وهو شهيد} يعني يستمعُ بحكمةٍ حينما يكونُ بعيداً عن المُجاملات (ولا أتحدّثُ هُنا عن المُجاملات الاجتماعيّة.. وإنّما أتحدّثُ عن المُجاملات العقائديّة والفكريّة.. أن لا يكون مُجاملاً في المُستوى العقائدي والمُستوى الفكري، بحيث يقبلُ قاعدةً أو بديهيّةً أو مفهوماً أو مُصطلحاً لأنّ الجوّ العلميّ العام يقبلهُ.. وإلى بقيّة التفاصيل). الذي يُلقي السمع وهو الشهيد هو الذي لا يُجامِلُ مُجاملةً علميّةً أو فِكريّة.. هو الذي يطلبُ الحقيقةَ بنفسها، وهو الذي يبحثُ عن قيمةِ الحقيقة الموجودة في نفس الحقيقة لا في غيرها.. هذا هو الذي يُلقي السمع وهو شهيد.

ومُرادي من كُلّ ذلك: أنّني حين أنقل لكم هذهِ الصُور على شاشة القُرآن تدبّروا فيها، دقّقوا النظر فيها ولا تعتمدوا على ما أقول.. أنا ناقلٌ إليكم فقط.. وهذا هو شهر رمضان.. هذا هو شهر القرآن.

• أمّا هذه المَرتبة (لِمَن كان لهُ قلب) فهي مَرتبةٌ عاليةٌ جدّاً - كما قُلت - وقد يسأل سائلٌ هُنا: مَن هُم هؤلاء الذين يحملون هذا الوصف المذكور في الآية (مَن كان لهُ قلب)؟

وأقول: أصحابُ هذا الوصف المَذكور في الآية 37 مِن سورة ق (مَن كان لهُ قلب) هُم أصحابُ القلوب السليمة الذين تحدّثتْ عنهم الآيات 88 و89 في سُورة الشُعراء، حين قالتْ: {يوم لا ينفعُ مالٌ ولا بنون* إلّا مَن أتى الله بقلبٍ سليم}. وحين نسأل آل مُحمّد "صلواتُ الله عليهم" ما هو القلب السليم، فإنّهم يُجيبوننا: أنّ القلبَ السليم هو الذي يلقى الله وليسَ فيه أحدٌ سِواه.. ولِذا قُلت: أنّ هذه المَرتبة بعيدةٌ عنّا.

• في سورة الصافّات هُناك مِصداقٌ عملي واضح لِصاحب قلبٍ سليم في الآية 83 وما بعدها: {وإنّ مِن شيعتهِ لإبراهيم* إذا جاء ربَّهُ بقلبٍ سليم} في السِياق اللّفظي في المُصحَف: المُراد مِن قولهِ: (وإنّ مِن شيعتهِ) أي شِيعة نوح.. ولكن في الدلالةِ العميقة مِن شِيعةِ عليّ.. فنوحٌ مِن شيعةِ عليّ أيضاً. وهذا المعنى أنّ إبراهيم مِن شِيعة عليّ ذُكِر في الروايات الشريفة.. وقد جاء هذا الوصف {إذْ جاء ربَّهُ بقلبٍ سليم} مع صِفة إبراهيم بأنّه شيعي.. فالقلبُ السليم هو القلبُ الشيعيُّ الحقيقي الذي ليس فيه سِوى الله.. وليس كقلوبنا.

● في سُورة الرعد الآية 7 وهي تُحدّثنا عن قانونٍ واضح: {إنّما أنتَ مُنذر ولكلّ قومٍ هاد} وهذا القانونُ مِن القَوانين الواضحةِ في ثقافة آل مُحمّد "صلواتُ الله عليهم". قولهِ {ولكلّ قومٍ هاد} يعني لكلّ جيلٍ مِن الأجيال هناك هاد.. وهذا الهادي هو الإمام المعصوم.. والآية في بُنيتها اللّفظيّة واضحة: {إنّما أنتَ مُنذر ولكلّ قومٍ هاد} فهذا الهادي غيرُ المُنذر.

المُنذرُ رسولُ الله، والهادي أميرُ المؤمنين.. {ولكلّ قومٍ هاد} يعني لِكلّ جِيلٍ مِن الأجيال لابُدّ أن يكونَ هُناك مِن إمام.. وهذا الإمام هو الهاد.. فهذا هو القانون {إنّما أنتَ مُنذر ولكلّ قومٍ هاد}

● حينما نقرأُ في سُورة الفاتحة في الآية 6 {اهدنا الصراط المُستقيم} في كُلّ صلاة، في الأجيال السابقة وكذلك في الأجيال اللّاحقة نَطلبُ الهدايةَ إلى الصراط المُستقيم. نحنُ في بداية السُورة بعد البسملة حَمَدنا ربّ العالمين، ثُمّ أعلنّا أنّه الرحمن الرحيم، وبيّنا عقيدتنا بيوم الدين ومِن أنّ المالك في ذلك اليوم هو الله، ثُمّ أقررنا بأنّنا نعبدهُ وبه نستعين.. وبعد كُلّ هذا نطلبُ الهدايةَ إلى الصراط المُستقيم.

فالشيءُ الطبيعي والمنطقي أنّ هذه الهداية لن نصَل إليها بأنفُسنا، وإنّما لابُدّ لنا مِن (هادٍ) وهذا الـهادي بُيّن في نفس السُورة حِين تقول: {صِراطَ الذين أنعمْتَ عليهم غير المغضوبِ عليهم ولا الضالّين}

فهُناك ضالّون، وهُناك مَغضوبٌ عليهم.. وفي وسط هذا الزحام هُناك الذين أنعمتَ عليهم، وهُناك صِراطٌ مَنسوبٌ إلى الذين أنعمْتَ عليهم.

فهؤلاء الذين أنعمَ اللهُ عليهم هُم الذين يَعرفون هذا الصِراط.. وهُنا نحنُ نطلبُ الهداية الكاملة بهذا العنوان: (الصراطُ المُستقيم)

فهل يُمكن أن تتحقّق الهداية مِن دُون الهادي الذي أشارتْ إليه الآية 7 من سورة الرعد {إنّما أنتَ مُنذر ولكلّ قومٍ هاد}..؟!

أنتم اجمعوا بين سُورة الفاتحة، وبين سُورة الرعد وتذكّروا مِن أنّ هذا الكتاب هو ذِكرى لِمَن ألقى السمع وهو شهيد.. استمعوا إلى هذا الخِطاب الإلهي الواضح وتدبّروا فيه بعيداً عن كُلّ المُجاملات الفكريّة والعلميّة، وبعيداً عن التقليد الأعمى، وبعيداً عن كُلّ الموروثاتِ غير الصحيحة.. لأنّنا إذا أردنا أن نتعامل مع هذا الكتاب بشكلٍ صحيح فلابُدّ أن نتّصِفَ بهذه الصِفة: {أو ألقى السمْعَ وهو شهيد} يعني أن يكون لنا حضور حقيقي في التعامل مع هذا الكتاب الكريم.

القانون واضح {إنّما أنتَ مُنذر ولكلّ قومٍ هاد}.. والآيةُ 6 في سُورة الفاتحة: {اهدنا الصراط المُستقيم} هذا طَلَبٌ مُستمرّ على طول الخط، وطِيلة أيّام حياتنا وفي كُلّ يومٍ ولِمرّاتٍ مُتكرّرة.. الأجيالُ السابقة وأجيالُنا والأجيال التي ستأتي، نحنُ جميعاً نبحثُ عن هذا الصراط المُستقيم الذي يعرفهُ بدقّةٍ

وعلى أكمل وجه الذين أنعم الله عليهم.. وأوضح مصاديق الذين أنعم اللهُ عليهم هم أولياء النِعَم الذين نُخاطِبهم في الزيارة الجامعة الكبيرة (وأولياء النِعَم). فهم "صلواتُ الله عليهم" سادةُ جميع الذين أنعم اللهُ عليهم مِن النبيّين والصدّيقين والشُهداء والصالحين.. هذه عقيدتُنا التي نعتقد بها.
فلكُلّ جيلٍ هادٍ.. وكُلّ الأجيال تطلبُ صِراطاً مُستقيماً يُنسَبُ إلى الذين أنعم اللهُ عليهم.

• في خِضَّم هذهِ التفاصيل، وبعد كُلّ هذه المُعتقدات المُتقدّمة، وبعد الحديث عن كُلّ هذا الاضطراب والازدحام ما بين ضالّين ومغضوبٍ عليهم وما بين الذين أنعم اللهُ عليهم، إنّنا نبحثُ عن الصِراط المُستقيم.. فلابُدّ مِن هادٍ.
عِلماً أنّنا نَبحثُ عن هذا الصِراط بعد أن عبرنا مَراحل كثيرة مِن بينها هذه المرحلة {إيّاكَ نعبدُ وإيّاكَ نستعين}..! وبعد هذه المرحلة إنّنا نطلبُ الهداية في وسط هذا الزُحام البشري.. فلابُدّ مِن وجود هادٍ في كُلّ مقطعٍ زمانيّ، وتلكَ هي عقيدتُنا الشيعيّة الأصيلة كما جاء في الروايات: (لو لم يبقَ في هذه الدنيا إلّا إثنان لكان أحدُهما الحُجّة)

● في سُورة البقرة الآية 124: {وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّهُ بكلماتٍ فأتمهُنَّ قال إنّي جاعِلُكَ للناس إماما..}
فالناسُ بحاجةٍ لإمام.. السؤال هنا: هل أنّ إبراهيم إمامٌ لكلّ الأجيال أم لِجيلهِ..؟
واضح أنّ إبراهيم هو إمامٌ لجيلهِ.. أمّا إمامُ هذا الجيل فتُحدّثنا عنهُ سُورة الإسراء حِين تقول في الآية 71 مِن سورة الإسراء: {يومَ ندعو كُلَّ أُناسٍ بإمامهم} فكُلّ جيلٍ مِن الأجيال لهُ إمام.. والآيةُ تقول: {يوم ندعو كُلّ أُناسٍ} ونَحنُ أُناس.. فمَن هو إمامُنا؟!
إمامُنا هو ذلك الهادي الذي يهدينا إلى "الصراط المُستقيم" الذي نطلبهُ ونَتحدّث عنهُ، ونَتوجّه بالدعاء في صلواتنا بِخُصوصهِ في كُلّ يومٍ مِن أيّام أعمارنا.. هذا هو إمامُنا.

● في سورة يس في الآية 12 {إنَّا نَحنُ نُحيي المَوتى ونكتبُ ما قدَّموا وآثارهم وكُلّ شيءٍ أحصيناه في إمامٍ مُبين}
الإمامةُ شأنٌ لا يرتبطُ بالدُنيا فقط وإنّما يمتدُّ إلى ما بعد الدُنيا.. والآية 71 مِن سُورة الإسراء {يومَ ندعو كُلَّ أُناسٍ بإمامهم} إنّها تتحدّثُ عن يوم القيامة.
فالإمامة شأنٌ مُتّصلٌ مُتواصل لا يتوقّفُ في لحظةٍ مِن اللّحظات.

• في نُصوصنا الشريفة وأحاديثنا المعصوميّة سيّد الأوصياء يقول: أنا هو الإمام المُبين في هذه الآية.. لابُدّ مِن إمامٍ تكون جميعُ شُؤوننا بين يديه، مُرتبطةً به. فنحنُ لا نستطيعُ أن ننفصِلَ عن منظومة الإمامة.. لا يُمكنُ هذا أبداً.

● حين نذهبُ إلى سورة طه الآية 88: {وإنّي لَغفّارٌ لِمَن تاب وآمنَ وعمِلَ صالحاً ثُمّ اهتدى}
قوله تعالى: {لِمَن تاب} التوبةُ منزلةٌ عالية.. وإنّما يتوبُ الإنسان بعد إيمانهِ، ولكنّه احتاج إلى التوبة كي يُصحّح مسارهُ ويُصحّح أخطاءهُ.. فهو على إيمانٍ وعلى عِلْمٍ وعلى معرفةٍ.. ولكن كبتْ به الحياة وغرّره الشيطان وسوّلَ لهُ الهوى.. فهو بِحاجةٍ إلى توبة.
قوله تعالى: {وآمن} يعني جدّد إيماناً جديداً.. ثُم تقول: {وعمِلَ صالحاً}.. وبعد كُلّ تلك المراحل تقول: {ثُمّ اهتدى}..!!
فالآية عجيبة : أفلم يكنْ مُهتدياً بعد كُلّ تلك المراحل..؟!
هذه الهداية في قوله تعالى: {ثُمّ اهتدى} هي نفس الهداية التي تحدّثتْ عنها الزيارةُ الغديريّة لسيّد الأوصياء الواردة عن إمامنا الهادي حين نُخاطِب أميرَ المؤمنين ونقول:
(وأنّه - أي رسول الله - القائلُ لكَ: والذي بعثني بالحق نبيّاً ما آمن بي من كفر بك، ولا أقرّ بالله مَن جحدك، وقد ضلّ من صدَّ عنك ولم يهتد إلى الله ولا إليَّ من لا يهتدي بك، وهو قول ربّي عزّ وجل: وإنّي لغفارٌ لِمَن تابَ وآمن وعمل صالحاً ثمّ اهتدى إلى ولايتك)
الزيارة الشريفة فسّرتْ الآية بشكلٍ واضح وصريح.. وهذا الخِطاب في الزيارة الغديريّة هو لإمام زماننا أيضاً.. فما كان لأوّلهم فهو لآخرهم، وما كان لآخرهم فهو لأوّلهم.. فبيعةُ الغدير هي بعينها بيعةُ إمام زماننا "صلواتُ الله عليه".

• قول الزيارة (ولم يهتدِ إلى الله ولا إليَّ من لا يهتدي بك)
هذا التعبير(يهتدِ) يُشير إلى سعيٍ من الإنسان.. فالتعبير لم يأتِ مثلاً (لم يُهدَ إلى الله) وإنّما جاء (لم يهتدِ) وهذا التعبير بِحاجة إلى سعيٍ من الإنسان وتمسّكٍ بالهادي الذي هو "الصراط المُستقيم" في حقيقته، والذي يُوصلنا إلى الصراط المُستقيم - إذا كان الحديث عن الجانب الطقوسي - يُوصلنا إلى حقائق الدين في بُعدها العملي.. وإلّا فالصراط المُستقيم هو الإمام "صلواتُ الله عليه".

● رسولُ الله سمّى بعض أصحابه بذي الشهادتين لأنّه أقام الشهادة مِن دون أن يكون مُطّلعاً على تفصيل تِلك الجُزئيّة في ذلك الذي ادّعى على رسول الله ما ادّعى.. وإنّما كانت شهادتهُ مُستندةً إلى إيمانهِ المُطلق برسول الله، فلقّبهُ رسول الله بهذا اللّقب كي يقول للأمّة: لستم بِحاجة إلى الاطّلاع على الجُزئيّات والتفاصيل إذا كُنتم قد أخذتم الحقيقة منّي.
ونَحنُ بايعنا رسول الله في بيعة الغدير على إمامة الحجّة بن الحسن.. فهل نحتاجُ إلى دليلٍ بعد هذا..؟!

● وقفة عند مقطع مِن حديث رسول الله الذي ينقلهُ إمامُنا الباقر في كتاب [بصائر الدرجات].
الإمام الباقر يُحدّثنا عن رسول الله وهو يُخاطب أمير المؤمنين ويقول له: (يا عليّ أنتَ أصلُ الدين ومنارُ الإيمان)

الهدايةُ تَتحقّق بالالتزام بأصل الدين.. وإلّا فالتوبة والإيمان والعمل الصالح كلّها شؤونٌ دينيّة ولكنّها لم تُحقّق الهداية، وإنّما الذي حقّق الهداية هو الاهتداء إلى ولاية عليّ كما في الزيارة الغديريّة. (ثمّ اهتدى إلى ولايتك) ونحنُ بِحاجةٍ لهذا الهادي إنْ كان في ظاهر الأمر أو كان غائباً عن أبصارنا. فنُور الشمس وشُعاع الشمس واصلٌ ومنافعه تنتشر في الأرض وإن كانت الغيوم كثيفة.

● وقفة عند مقطع مِن رسالة الإمام الصادق في [بصائر الدرجات] التي بعثَ بها الإمام جواباً على رسالة المُفضّل بن عمر.. يقول الإمام الصادق وهو يُبيّن فيها حقائق العقيدة.. يقول: (ثمّ إنّي أُخبرك أنّ الدين وأصل الدين هو رجل وذلك الرجل هو اليقين وهو الإيمان وهو إمامُ أُمّتِهِ وأهل زمانه، فمَن عرفهُ عرف الله ومن أنكرهُ أنكر الله ودينه، ومن جهلهُ جهل الله ودينه وحدوده وشرائعه..)

● وقفة عند حديث سيّد الشهداء الذي ينقلهُ لنا الإمام الصادق في [علل الشرائع: ج1] الباب التاسع: علّةُ خَلْق الخَلْق واختلاف أحوالهم. يقول عليه السلام: (خرج الحُسين بن عليّ على أصحابه فقال: أيّها الناس إن الله عزّ وجل ما خلق العباد إلّا ليعرفوه فإذا عرفوه وعبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه، فقال له رجل: يابن رسول الله بأبي أنت وأمي فما معرفة الله؟ قال معرفته في كلّ زمان معرفة إمامهم الذي يجب عليهم طاعته)

معرفة الله هي معرفة إمام زماننا.. الإمام هو الأصل ولا يُمكن أن نتصوّر أنّ الدين قائمٌ مِن دُون أصلهِ، لابُدّ مِن وجود الأصل؛ لأنّ الدين مِن دُون أصله لا وجود له، وهذا المضمون يُصدّقهُ الكتاب الكريم في الآية 67 من سُورة المائدة حين يقول:

{يا أيُّها الرسول بلّغ ما أُنزل إليكَ من ربّك وإنْ لم تفعل فما بلّغت رسالته}.. المَضمون واضح وصريح جدّاً.. لا نستطيعُ أن نتصوّر منظومةَ الدين مِن دُون أصلها.. فهُناك أصلٌ للدين وهو الإمامُ المعصوم ونَحنُ لا نستطيع أن نتصوّر الدين مِن دُونه.

وفي نفس الوقت هذا الكلام يَقودُنا إلى نتيجةٍ جليّة وهي أنّ نظريّة أصول الدين الخمسة نظريّةٌ باطلة.. جاءنا بها مَراجعنا وعُلماؤنا مِن الأشاعرة والمُعتزلة، فهي تتعارضُ مع هذا المَنطق لأهل البيت.

هذا المَنطق واضح أنّ للدين أصلٌ واحد هو الإمام المعصوم.. وجئتُ بالزيارات والروايات للتوضيح فقط.

فالإمام هو الأصل فلا نستطيع أن نتصوّر الدين مِن دون أصل.. وإنّنا نتحدّث عن أصلٍ موجود على أرض الواقع.. وعلى هذا بايعنا بيعة الغدير، فهل نستطيع أن تصوّر شيئاً مِن دون أصله؟

فالصورة واضحة جدّاً: هُناك دينٌ لهُ أصل، وهذا الدين مِن دُون هذا الأصل لا مَعنى له {وإنْ لم تفعل فما بلّغت رسالته} والدين مُستمرٌّ.. فهل هُناك مِن شكّ في نفوسكم أنّ الدين توقّف؟!

الدين مُستمرّ، لا يتوقّف ولن يتوقّف.. ولا يُمكن أن يُقال عنهُ دين إلّا بوجود أصله.. إذا افتُقِد الأصل فلا حقيقة لشيءٍ يُسمّى دين.

ولِذا الآخرون أسّسوا ديناً آخر.. ولا شأن لنا بهم.. فالسقيفة أنشأتْ دين آخر.. ونحنُ هنا نتحدّث عن دين مُحمّدٍ وآل مُحمّد.

● لازال حديثنا في الشاشة الأولى التي قُلتُ بأنّها تشتمِلُ على عِدّة صُوَر.. وقد تمّ الحديثُ في الصُورة الأولى وهي: أنّ الإمام المعصوم هو أصلُ الدين.. ولابُدّ لنا مِن إمامٍ {يومَ ندعو كُلَّ أُناسٍ بإمامهم} ولابُدّ أن يكون موجوداً على أرض الواقع.

❖ الصورة (2) مِن صُور الشاشة الأولى وهي "شاشةُ القرآن":

• في سُورة ص حينما وصل الحديثُ إلى قِصّة سجود الملائكة وعناد إبليس {فسَجَدَ الملائكةُ كلُّهم أجمعون* إلّا إبليسَ استكبر وكان مِن الكافرين* قال يا إبليسُ ما منعكَ أن تسجدَ لِما خلقتُ بيديَّ أستكبرتَ أم كنتَ مِن العالين}

العالون مجموعةٌ حقيقيّةٌ، وبحسب روايات آل مُحمّد فإنّ العالون هم مُحمّدٌ وآل مُحمّد "صلواتُ الله عليهم" الذين لا يسجدون لِغير الله.. أمّا الملائكة كُلّهم أجمعون سجدوا لآدم لأنّ نُوراً مِن مُحمّدٍ وآل مُحمّدٍ حلّ في آدم.. آدم كائنٌ مخلوق تشرّف بنفحةٍ مِن نفحاتهم فَسَجد الملائكةُ كُلّهم أجمعون لهُ.. أمّا العالون فهم وُجوداتٌ إلهيّةٌ قادسةٌ لا يستطيعُ إبليس ولا الملائكة ولا آدم أن يقتربوا مِن فنائها.

• هؤلاء العالون هم نفسهم الذين جاء ذكرهم في سُورة الأعراف في حديث إبليس مع أبينا آدم وأُمّنا حوّاء.. {وقال ما نَهاكما ربُّكما عن هذهِ الشجرة إلّا أن تكونا مَلكينِ أو تكونا مِن الخالدين}

الخالدون هُم العالون.. فهذهِ مجموعةٌ يتحدّثُ عنها القُرآن بِصيغة جمع المُذكّر السالم (العالون، الخالدون)

• في سورة العنكبوت في الآية 43: {وتلكَ الأمثالُ نضربُها للناس وما يعقِلها إلّا العالمون}

• في سُورة الروم في الآية 22: {ومِن آياتهِ خَلْقُ السماواتِ والأرض واختلافِ ألسنتكم وألوانكم إنّ في ذلكَ لآياتٍ للعالمين} العالمين هم أنفسهم العالمون الذين يعقلون الأمثال الإلهيّة.. وهؤلاء هم الذين جاء ذِكرهم في سُورة آل عمران في الآية 7 {وما يعلمُ تأويلَهُ إلّا اللهُ والراسخونَ في العلم}

• في سورة الواقعة الآية 77 وما بعدها: {إنّهُ لَقُرآن كريم* في كتابٍ مكنون* لا يمسّهُ إلّا المُطهّرون}

• في الآية 33 من سُورة الأحزاب: {إنّما يُريدُ اللهُ لِيُذهبَ عنكم الرجس أهل البيت ويُطهّركم تطهيرا}

• في سُورة الزُخرف في الآية 81 : {قُلْ إنْ كان للرحمن ولدٌ فأنا أوّلُ العابدين} يعني أنا أوّل مَن عبد.. وأوّل مَن عَبَد الله هُم "صلواتُ الله عليهم".. سبّحوا وبعد ذلك سبّحتْ الكائنات.. هُم العابدون، فعِبادتهم مُختلفة عن عِبادة الخَلْق.

• في سُورة الأنبياء في الآية 19 وما بعدها: {ولهُ مَن في السماواتِ والأرض ومَن عنده لا يستكبرون عن عبادتهِ ولا يستحسرون* يُسبّحون الّليل والنهار لا يفترون}. الإمام الصادق يقول للمُفضّل في معنى قولهِ تعالى: {ومَن عنده} نَحنُ هم.. وهُو نفس المضمون الذي جاء في دعاء ليلة المبعث: (وبإسمكَ الأعظم الأعظم الأعظم الأجل الأكرم الذي خلقتَهُ فاستقرّ في ظِلّكَ فلا يخرجُ مِنكَ إلى غيرك)

• في الآية 159 من سورة البقرة: {إنَّ الذين يكتمون ما أنزلنا مِن البيّنات والهُدى مِن بعد ما بيّناهُ للناس في الكتابِ أولئكَ يلعنُهُم اللهُ ويلعنُهم الّلاعنون}

• في سُورة المؤمنون في الآية 109: {ربّنا آمنّا فاغفر لنا وارحمنا وأنتَ خيرُ الراحمين}

هذه العناوين تتحدّث عن مجموعةٍ مُتلازمةٍ مُتواصلةٍ مُتّصلة.. هذهِ عناوينهم (العالون، الخالدون، العالمون، الراسخون، المُطهّرون، العابدون، الّلاعنون، الراحمين..) وهي بصيغة جمع المُذكّر السالم الدال على الحُضور والإستمراريّة.

فبعد الإمام الهادي يأتي الإمام الحسن العسكري، وبعد الإمام الحسن العسكري يأتي إمام زماننا رغم أُنوف المُنكرين.. وتتمّة الحديث في حلقة يوم غد